وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة-الجزائر

كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مداخلة بعنوان:

المنهجان: الدعوي والتنقيحي رافدان من روافد الإصلاح في تفسير القرآن وعلومه في الجزائر.

انجاز: فيصل بوطالبي
طالب مرحلة الدكتوراه
قسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
إشراف: د/عبد العزيز ثابت

العنوان:

المنهجان الدعوي والتنقيحي رافدان من روافد الإصلاح في تفسير القرآن وعلومه في الجزائر

Title:

The two methods, Da'wa and revision are two of the tributaries of reform in interpretation and the Qur'an sciences in Algeria

ملخص:

يهدف البحث إلى توضيح جهود العلماء في الجزائر على مر التاريخ الحديث في الحركة الإصلاحية التي مست كل جوانب التعامل مع القرآن الكريم من جهة الحث على العمل به وتفسيره وما إلى ذلك بصلة من مختلف علوم القرآن. المنهج الدعوي كان هو الوسيلة الأنجح والأنجع في تفعيل دور القرآن الكريم هاديا في سبيل الإصلاح الاجتماعي والثقافي وما يتصل بهما من أجل حياة طيبة رشيدة على مستوى الفرد والجماعة. والمنهج التنقيحي هو النهج الأساس في اصلاح طريقة التعامل مع القرآن الكريم وعلومه وفي ذلك خدمة للمنهج الإصلاحي العلمي عامة وخدمة للدرس التفسيري الدعوي وغيره خاصة؛ بحيث لا تبين الحقيقة القرآنية إلا بالحق الذي جعله الله بيانا لكلامه.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه، المنهج، الدعوة، التنقيح، الإصلاح، التفسير، القرآن، العلوم.

Abstract:

This research aims to clarify the efforts of scientists in Algeria throughout the modern history in the reform movement that touched all aspects of dealing with the Holy Qur'an in terms of urging the work with it, its interpretation and so on for all related sciences to the Qur'an. The advocacy approach was the

most successful and most effective way to activate the role of the Holy Qur'an as a pioneer for social and cultural reform and what is attached to them for a good life at the individual and the community levels, as well the refinement approach was the basic one in reforming the way of dealing with the Holy Qur'an and its sciences. This approach gives a big service for the scientific reforms in general and in particular for the study of the da'wah interpretation, so that the Quranic truth cannot be clarified unless the truth that Allah made to interpret his word.

Keywords: Direction, Method, Da'wa, Revisionism, Reformist, Sciences, the Qur'an.

المقدمة

الحركة الإصلاحية في العصر الحديث هي النهضة العلمية واليقظة الفكرية التي تزعمها كثير من أهل العلم والفضل في شتى أقطار المشرق الإسلامي، وفي القطر الجزائري قامت كما في غيرها من أمم الشرق نهضة علمية إصلاحية تميزت بروحها الإسلامي ونهجها القرآني حيث كان الإصلاح القرآني حلقة من حلقات تلك النهضة؛ بل كان هو اللبنة الأساس فيها. ويعنى الاتجاه الإصلاحي في التفسير بالتركيز على اتخاذ القرآن الكريم أساس للإصلاح العام –الديني والثقافي والاجتماعي–، ولا يتأتى الإصلاح المنشود بالقرآن إلا بعد تفهم هذا الأخير ثم حسن تفهيمه وتوصيل هداياته إلى الناس؛ ولا يحصل هذا إلا عن طريق اصلاح الدرس التفسيري نفسه بما يكسب الفرد والجماعة القدرة على فهمه والعمل به والجلوس لتفهيمه وحث الناس على التشرب من علومه وآدابه. ومن أشهر من انتهج هذا النهج في المشرق العربي محمد رشيد رضا وأستاذه محمد عبده في تفسير المنار، حيث جمعا بين الدرس التفسيري الشفوي والتفسير الكتابي وحاولا معا تجاوز التفسير المعتاد للقرآن الكريم إلى الكشف عن هدايات القرآن الكريم وتفسير معجزاته في تربية الأمم والأجيال في أقوم نظام ... واقتفى أثرهم في المغرب العربي رائد النهضة العلمية والأدبية في الجزائر العلامة ابن باديس ومعه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وطريقة الجمعية هذه في التفسير جاءت لتقضي أو

لتسد النقص الذي كانت الساحة الثقافية الجزائرية تعاني منه حيث إن «التأليف في التفسير خلال العهد الفرنسي كان قليلا، ولكن التفسير الشفوي كان متوفرا»[1] ولكن مع توفره فلم يكن بذاك الذي يحقق المقصود منه نظرا للظروف السياسية التي كان يعاني منها البلد وما جرت إليه من التضييق على المساجد وعلى كل محاضر في المجامع الثقافية أو العامة فـ«كان التفسير مقصورا، على الدروس المسجدية أو في الزوايا أو في الخطب الجمعية والأعياد. فالعالم كان يختار آية من القرآن الكريم، عادة مما تسمح به الإدارة الاستعمارية، ويناسب موضوع الدرس أو الخطبة، ثم يأخذ في بيانها ومعانيها، حسب طاقته اللغوية والثقافية وحسب إدراكه لمحتوى المعاني. ونحن نقرأ في كتب السير والتراجم أن فلانا قد اشتهر بالتفسير. فيجب ألا نفهم من ذلك أنه ألف فيه أو وضع كراسا أو منهجا فيه، المقصود وإما أنه اشتهر بين المواطنين والمعاصرين بأنه يتناول في دروسه وخطبه الآيات القرآنية وليس الأحاديث أو الموضوعات الأخرى، وأنه كان صاحب صيت في ذلك، لأن علم التفسير لا يتعاطاه كل مدرس ولا كل خطيب»[2]، يستخلص مما سبق أن سمة الدرس التفسيري قبيل النهضة العلمية كان على قلته يعاني من الجمود الفكري وبعده عن الواقع الاجتماعي تأثرا وتأثيرا، مما أدى بذلك الدرس إلى تعطيل الهدف الأساس منه وهو تحقيق الهداية الربانية بالقرآن من أجل بلوغ الحال الأصلح في جميع المستويات الاجتماعية.

إشكالية البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤل التالي:

كيف استطاع العلماء الجزائريون في العصر الحديث –دونما تخصيص–تعميم الثقافة القرآنية بكل أشكالها وبمختلف مستوياتها –مع تنقيحها من كل ما يشوبها– في أوساط المجتمع ؟ وكيف كان القرآن الكريم هو الركيزة الأولى مع السنة النبوية في الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي المعاصر؟

---

(1) أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة – ٢٠٠٧ م، (9/7)

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، (7/ 9)

دراسات سابقة

هناك مجموعة من الجهود والأبحاث ذات صلة بالموضوع الذي يعنى به الباحث في هذا البحث منها:

- الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير معاني القرآن الكريم –تفسير الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض نموذجا- لـــ: يحي بن بهون حاج امحمد، مجلة دراسات، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، العدد 09 ديسمبر 2018م.

- جهود الطاهر التليلي السوفي في النظم القرآني، لـــ: محمد السعيد مصيطفى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد 12العدد1(2019).

في رأي الباحث يتميز هذا البحث _عن سابقيه- أنه كالعقد لهذه الدراسات؛ يجمع نتائجها ويستخلص منها الدرر التي تميز مظاهر جهود علمائنا في خدمة القرآن الكريم دراسة وتدريسا وانتصارا له.

المبحث الأول: ظهور المنهج الدعوي

الدعوة إلى السبيل السوي والصراط المستقيم هي وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [سورة المائدة:15-16]. وورثتهم وخلفهم من بعدهم أهل العلم الدعاة إلى الله بما ورثوه عنهم من علم الكتاب والحكمة يعلمون بهما الناس إذا جهلوا ويعظونهم إذا عن الله غفلوا ويجادلونهم إذا عن الصراط ضلوا؛ وفيما يلي حلقة من حلقات الدعوة إلى الله بتعليم الكتاب والموعظة به.

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الدعوي في التفسير

نستشف حدود المنهج الدعوي عند علماء الجزائر من خلال تركيزهم على الجانب العملي من وراء تفهيم القرآن الكريم دون الجانب العلمي عملا بما كان عليه الرعيل الأول من الأمة فقد «كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة لجميع البشر يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها» [1]. يقول الشيخ صالح آل الشيخ في محاضراته حول مناهج المفسرين حين تكلم عن مدرسة التفاسير الدعوية: «مدرسة التفاسير الدعوية وكان لظهورها سبب وهو أنه في هذا العصر ونعني به ما بعد سنة ألف وثلاثمئة هجرية مع ظهور الفساد وبعد الناس عن الدين وتسلط الاستعمار والغزو الثقافي الذي حصل للمسلمين وإبعادهم عن دينهم وعن القناعة بشرع الله جل وعلا ظهرت هناك جماعات مختلفة في العالم الإسلامي العربي وغير العربي فيها الدعوة لإرجاع الناس إلى الدين ولا شك أن الداعية يحتاج أن يكون اعتماده على القرآن لهذا احتاجت تلك الدعوات إلى أن يفسر بعض منهم القرآن ... بعض منهم فسر على طريقة العلماء كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين»[2] يتضح من خلال ما سبق من النقل أن لمنهج التفسير الدعوي سببا في الظهور وغاية مرجوة منه، أما سبب ظهوره الفساد الذي أطبق على المجتمع نتيجة الجهل بتعاليم الدين مع الغزو الثقافي الذي طغى على الساحة الثقافية والعلمية واما هدفه فهو اصلاح حال الناس والرجوع بهم إلى الدين.

قد يقول قائل وما الفرق بين المنهج الدعوي –هذا– وبين غيره من المناهج الإصلاحية الأخرى كما في مدرسة المنار بمصر وكما في منهج الشيخ الطاهر بن عاشور التجديدي الذي أعرب عنه في كتابه (أليس الصبح بقريب؟) وأبان عنه عمليا في تفسيره الفريد (التحرير والتنوير؟)، فنقول كل هاته المناهج تلتقي في لفت أنظار المخاطبين إلى الهدي القرآني وفي إبراز وتجلية العقيدة الخالصة والسلوك الإسلامي السوي ... إلا أن المنهج الدعوي يفارقهم في اعتماد الأسلوب الخطابي المقنع، بدل الأسلوب العلمي الذي لا يجيده ولا يفهم عنه إلا خواص الناس،

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (2/ 250)

(2) صالح آل الشيخ، "محاضرة مناهج المفسرين/ سلسلة المحاضرات العلمية"، ت: عادل رفاعي، مكتبة دار الحجاز، مصر، 1434هـ-2013م، ط1، (3/158-159).

وكأن المفسر بالمنهج الدعوي أكثر ما يخاطب هو الوجدان فهو إلى الوعظ أقرب منه إلى التعليم والجدل؛ وهذا المقام هو المقام الثاني من مقامات الداعية إلى الله تعالى المبينة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:125]. يقول البشير الإبراهيمي عن ابن باديس ودرسه في التفسير مبينا اتجاهه الدعوي فيه: «وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم: وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدايته والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله. وكان يرى- حين تصدى لتفسير القرآن- أن تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم؛ لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد»[1]. وهذا النهج الذي انتهجه ابن باديس هو نفسه الذي سار عليه خلانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فذاك الشيخ بيوض «قصد بتفسيره القرآن إصلاح المجتع وتهذيب الأخلاق وتقوية الإيمان وتطهير العقيدة وتثقيف العقول وإفادة الناس بما في القرآن من شريعة وأدب وفلسفة وغير ذلك من كنوز ... »[2] فالفئة المستهدفة عند المفسر المعتمد على منهج التفسير الدعوي هي عامة الناس على وجه الخصوص والأسلوب المعتمد مما يجب أن يناسب حال هذه الفئة. وعند محمد رشيد رضا في تفسيره إشارة إلى المعاني السابقة في المنهج الدعوي؛ إذ يقول إن قصر تدبر القرآن وتفهمه على من حاز شروطا لا تتأتى إلا لخواص من الناس فيه تعطيل للقرآن عن الغاية التي أنزل من أجلها، ألا وهو إصلاح النوع الإنساني؛ بل الواجب –على حسبه- أن يقال بأن هناك قدر من التنظر والتفهم هو واجب على كل فرد إنساني بلغه القرآن الكريم، وواجب على من تصدى للتفسير تبيان ذلك للناس بما تتسع له عقولهم ويحصل منه المقصود، فقد «خاطب الله بالقرآن من كان في زمن التنزيل، ولم يوجه الخطاب إليهم لخصوصية في أشخاصهم، بل لأنهم من **أفراد النوع الإنساني الذي أنزل القرآن لهدايته**. يقول الله

(1) مقدمة : "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 1416هـ - 1995م، ط1، ص20.

(2) يحي بن بهون حاج امحمد، "الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير القرآن الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض نموذجا"، ص74.

تعالى: (ياأيها الناس اتقوا ربكم) فهل يعقل أنه يرضى منا بأن لا نفهم قوله هذا ونكتفي بالنظر في قول ناظر نظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه لا جملة ولا تفصيلا؟ ! كلا إنه يجب على كل واحد من الناس **أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته لا فرق بين عالم وجاهل.** يكفي العامي من فهم قوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلخ: ما يعطيه الظاهر من الآيات، وأن الذين جمعت أوصافهم في الآيات الكريمة لهم الفوز والفلاح عند الله تعالى، ويكفي في معرفة الأوصاف أن يعرف معنى الخشوع والإعراض عن اللغو وما لا خير فيه، والإقبال على ما فيه فائدة له، دنيوية أو أخروية، وبذل المال في الزكاة والوفاء بالعهد، وصدق الوعد، والعفة عن إتيان الفاحشة، وأن من فارق هذه الأوصاف إلى أضدادها فهو المتعدي حدود الله، المتعرض لغضبه، وفهم هذه المعاني مما يسهل على المؤمن **من أي طبقة كان، ومن أهل أي لغة كان.** ومن الممكن أن يتناول كل أحد من القرآن بقدر ما يجذب نفسه على الخير، ويصرفها عن الشر، فإن الله تعالى أنزله لهدايتنا وهو يعلم منا كل أنواع الضعف الذي نحن عليه، وهناك مرتبة تعلو على هذه وهي من فروض الكفاية»[1].

المطلب الثاني: رواد هذا المنهج:

يذكر أبو القاسم سعد الله في تاريخه الثقافي للجزائر في هذا العصر عددا من الجهود المعتبرة في مجال النهوض بهذا النوع من الدرس التفسيري إلا أنه فقد أثرها وإن كان بقي ذكرها لما انطبعت عليه من طابع المشافهة دون الكتابة والتقييد.

1. مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المؤسسة في سنة 1931م، برئاسة عبد الحميد ابن باديس تعتبر الرائد الأول للتجديد الديني برمته في الجزائر وذلك بخطتها في العمل من أجل إحياء الإسلام وعلومه بعد مرور عام من قيام فرنسا بتشييع الإسلام في الجزائر باحتفاليتها بمرور مائة عام على احتلال الجزائر، وكان من ضمن العلوم التي أحياها علماء الجمعية علم التفسير فكانت جهودهم متنوعة فيه فلابن باديس درس في التفسير جعله لعامة الناس واستمر هذا التفسير لمدة خمسة وعشرين سنة كاملة ختم فيها كتاب الله تبارك وتعالى وللبشير

(1) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، مرجع سبق ذكره، (1/ 19)

الإبراهيمي في تلمسان درس في التفسير في دار الحديث في تلمسان فسر فيه نصف القرآن وكان درسه ما بين صلاتي المغرب والعشاء واستمر لمدة أربعة عشر سنة، والمبارك الميلي فسر سورة الأنعام والطيب العقبي كان له دروس في التفسير.[1]

في الجزائر صرح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنه كان يخطط أو كان من ضمن خططه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انشاء مدرسة تفسيرية كاملة الأركان تتولى قيادة الحياة الثقافية في الجزائر بإمامة القرآن الكريم الذي كان به صلاح المسلمين في الزمن الأول فكيف لا يكون بهم صلاحهم في هذا الزمن، وكان شعاره الذي عنون به هذا المسار هو قوله: وإذا قيل إن الزمان غير الزمان قلنا إن الإنسان هو الإنسان.[2]

2. إبراهيم بيوض

هو إبراهيم بن عمر بن بابة بن إبراهيم بن حمو، الملقب بيوض: عالم اباضي، مفسر، مجاهد، من أكابر العلماء المسلمين ورجال الإصلاح في وقته، من أهل القرارة بالجزائر، مولدا وإقامة ووفاة. اشتغل بالتعليم الديني مدة طويلة، وشارك في النهضة الإصلاحية، السياسية والدينية، التي مهدت لقيام الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1954. من آثاره "تفسير القرآن الكريم" اشتغل به تدريسا زهاء خمسة وأربعين عاما (1354 هـ 1935 م – 1400 هـ - 1980 م). [3] واتخذ من دروس تفسير القرآن الكريم مضمارا لجهاده الإصلاحي مأتسيا بعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان عضوا فيها، ويوجد تسجيل صوتي لمجالسه في التفسير –ليس كله بل نصفه–، ولما كان غرضه من التفسير غرضا دعويا توعويا فقد كان يعقد مجالسه في المسجد أين يحضر له عامة الناس لأداء الصلاة، ويختار له أفضل الأوقات التي تليق بالتلاميذ والعامة حيث يحضر الجميع من مختلف الطبقات ومختلف الحرف. والشيخ بيوض من علماء الجمعية المؤسسين لها ولكن لما كان مستقلا بدرسه في

(1) استفدته من محاضرة: "جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر العلم"، عز الدين رمضاني، الإقامة الجامعية زواغي سليمان 2 –قسنطينة، يوم: 2017/03/06م.

(2) ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار"، 1/162-163.

(3) عادل نويهض، "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1409 هـ - 1988 م، ط3، (1/ 17)

التفسير في منطقة واد ميزاب وبقي تفسيره مسجلا ثم دون من بعده في كتب جرت عادة الباحثين على إفراده بالدراسة.

المطلب الثالث: وسائل هذا المنهج

تعددت وسائل هذا المنهج، وإن كان الأصح أن نقول إن علماء الجزائر قد استغلوا كل وسيلة قد تنفعهم في إيصال الوعي والثقافة الإسلامية عن طريق القرآن الكريم، ويمكن، على حسب تقدير الباحث، حصر الطرق الدائمة لنشر الثقافة الإصلاحية القرآنية في ثلاثة طرق هي:

1- الدروس المسجدية

المسجد منذ فجر الإسلام وهو الركيزة الأساسية في ثقافة المسلمين وتعليمهم، لم تتخل أي حركة إسلامية عنه في بنائها للوعي الإسلامي البتة، وكانت من ضمن أركان التعليم العربي والإسلامي في الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي، يقول البشير الإبراهيمي عن أسلوب الجمعية في استثمار الدروس المسجدية في بث التعليم ونشر السنة ومحاربة البدع والخرافات ومعالجة المشكلات الاجتماعية والانحرافات السلوكية: «أما في المساجد فطريقة الجمعية في الوعظ والتذكير هي طريقة السلف، تذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجدي عبره، وبالصحيح من سنة رسول الله، تبينها وتنشرها، وبسيرته».[1] ومن مميزات هذا الأسلوب في نشر الوعي القرآني ما نقل عن الشيخ إبراهيم بيوض أنه بعد أن يقرب معاني الآيات للناس «يعرض المجتمع عليها، فيبين أمراضه وما يخالف القرآن فيه من البدع ومساوئ الأخلاق، ومن الإلحاد الذي ينشره المستعمرون وأذنابهم من خريجي مدارهم، فيهجم على الفساد فيدحضه بالقرآن ويعمد إلى النفوس فيغسلها من أوضارها بنور الله، وقلما تخلو آية دون أن يعرض المجتمع عابها والعصر ما يأتي به، فيبين ما فيها من فساد واعوجاج»[2]، ومن العلماء الذين انتهجوا هذا النهج كذلك العربي التبسي وأحمد سحنون ...[3]

---

(1) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1997م، ط1، (1/ 191)

(2) يحي بن بهون حاج محمد، "الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير معاني القرآن الكريم تفسير الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض نموذجا" ص75.

(3) ينظر: أبو القاسم سعد الله، " تاريخ الجزائر الثقافي"، مرجع سبق ذكره، ص13-14.

يظهر الاتجاه الدعوي –أكثر– في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التعليم المسجدي إذ الفئة المستهدفة فيه هم عامة الناس و المقصود من دروس التفسير هو تربية عامة المسلمين أصول الأخلاق و العبادات والعقائد الدينية فهو تفسير عملي أكثر مما هو علمي. وتجدر الإشارة أن الجمعية كانت في تعليمها القرآن تعتمد طريقتين بحسب الفئات المستهدفة و المقاصد العامة المرجوة ؛ فالطريقة الأولى: هي التعليم المسجدي العام يقوم فيه المفسر ببسط التفسير وتسهيل معاني القرآن الكريم بالقدر الذي يمكن من غرز القيم والمبادئ القرآنية في نفوس العامة بأقرب طريق حيث أن «جمهور هذا النوع من المفسرين كان من العامة في أغلب الأحيان. إنه جمهور التجار والفلاحين، وبعض المتعلمين والطلبة، ولذلك كان عليهم أن يتبسطوا في اللغة والمعاني، وأن يتناولوا موضوعات ذات صلة بهذا الجمهور مثل العقائد المزيفة والأمراض الاجتماعية والمعاملات»[1]، أما عن أسلوب هذه الدروس والهدف منها وأقرب طريق يوصل إلى ذلك الهدف؛ فيقول محمد البشير الإبراهيمي –رحمه الله– : «وأسلوب الجمعية في التعليم الديني في المساجد على إطلاقه العناية بالمعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب طريق يؤدي إليه، وتجليته للسامعين بالصور العملية التطبيقية، والإعراض عن اللفظيات والخلافات وكل ما يشوش أو يبعد عن تصور المعنى المقصود»[2] واضح من كلام الإمام أن الغرض من الدرس التفسيري العام هو تهذيب النفوس وتنمية الأخلاق ومعالجة المشكلات الاجتماعية بكل أشكالها دون الغوص في تحليل الآيات القرآنية والخوض في العلوم التي لها علاقة –بعيدة أو قريبة– مع الآية، و«كان الشيخ العربي التبسي من هؤلاء المفسرين –أيضا– بدأ ذلك بعد رجوعه من دراسته في الأزهر الشريف، كانت دروسه في الجامع الكبير بتسبة، وقيل إنه بدأ التفسير للعامة ولمن حضره من الخاصة، من السور القصار وتنقل منها إلى البقرة. وكانت ثقافته الدينية الواسعة تؤهله لهذه المهمة، فقد كان مطلعا على التفاسير وعارفا بأحوال العصر ومقتنعا بدور العالم في هذا المجال، فكان يتخذ من التفسير وسيلة للدعوة إلى التقدم والنهوض، لأن القرآن في أساسه يدعو إلى ذلك. وكان يعتمد منهجا معينا، يقوم على شرح الألفاظ واستخراج المعاني وتطبيقها على الواقع. ولذلك كانت الدعوة إلى الاتحاد والتقدم

(1) المرجع نفسه، تاريخ الجزائر الثقافي (7/ 12)

(2) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي "، مرجع سبق ذكره، (1/ 192)

واليقظة هي الغاية، وكذلك الدعوة إلى نبذ البدع، والعمل بما جاء به القرآن ... إن التبسي لم يستمر في مكان واحد، فقد تنقل من تبسة إلى غيرها من مدن الغرب ثم قسنطينة ثم العاصمة، ولكنه لم ينفك عن إلقاء دروس التفسير ومواصلة ما بدأه إلى أن ختمه في آخر سنة 1956م وكان ذلك قبل استشهاده ببضعة أشهر فقط. وقيل إن تدريسه للتفسير دام اثنين وعشرين سنة»[1]

2- المحاضرات العامة

يقول أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي: «ومنذ 1920 اتسعت قائمة العلماء الأحرار، ورجع عدد من العلماء المهاجرين، وتضخم حجم الجمهور المثقف بالعربية وازداد الحماس للإصلاح والتغيير. وعرف الناس ما أطلق عليه اسم الدروس الحرة في المساجد الحرة، فكان (العلماء) ينطلقون عادة من آية قرآنية على منبر من المنابر أو في حفل ديني أو تعليمي، ومنها يحللون الأفكار وينقدون الأوضاع ويدعون إلى التغيير».[2] ثم بين بعد؛ ما تتسم به محاضرات هؤلاء العلماء الأحرار في تفسيرهم للقرآن، منها أن العلماء كانوا يختارون للجمهور آيات معينة ذات صلة وثيقة بالواقع المعاش مثل العقائد المزيفة والأمراض الاجتماعية والمعاملات، منها ما كان على العلماء من مراعاة مستوى جمهور الحاضرين مما يوجب عليهم التبسط في اللغة والمعاني وأعمل حدسه في تقرير أن اللغة التي كان يستعملها العلماء في الالقاء هي اللغة المتفاصحة لا الفصيحة –على حد تعبيره-.[3]

وعن هذه الطريقة يقول محمد البشير الإبراهيمي مبينا مدى اعتمادها من طرف علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: «وأما المحاضرات التهذيبية فأسلوب الجمعية فيها أسلوب الخطابيات المؤثرة في العقول، الحافزة للنفوس، المنبهة للمشاعر على طريقة الترغيب والترهيب. وللجمعية- من فضل الله- ألسنة سيالة، ومحاضرون قد بلغوا الغاية، فصاحة ورباطة جأش، ونصاعة لفظ، وتفننا في المواضيع وملكا لها، ومتانة إلقاء».[4] واحتفظت لنا آثاره التي جمعها

(1) "تاريخ الجزائر الثقافي"، مرجع سبق ذكره، (7/ 13).

(2) "تاريخ الجزائر الثقافي"، مرجع سبق ذكره، (7/ 10)

(3) ينظر: المرجع نفسه، (7/ 10 وما بعدها)

(4) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (1/ 193)

نجله –أحمد طالب الإبراهيمي– بأنموذج حي من هذا النوع من طرق التفسير ونشر الوعي القرآني، ففي الآثار المجلد الأول الصفحة الواحدة والتسعون بعد الثلاث مائة؛ محاضرة في التفسير تحت عنوان: (سعادة المسلمين في العمل بالقرآن) تناول من خلالها تفسير آخر آية في سورة إبراهيم وهي قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [سورة إبراهيم]. تناول فيها سورة إبراهيم من وجوه منها الحكمة من تسميتها بهذا الإسم، ووجه المناسبة بين مفتتح السورة وخاتمتها، وعرج على طريقة القرآن في عرض قصة إبراهيم في مختلف السور القرآنية وبين حال بني إسرائيل مع أنبيائهم وحال العرب مع أنبيائهم، وذكر الفوائد التي يجتنيها الدعاة والمصلحون من قصة إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله رب العالمين وأولويات الداعية في ذلك من مثل محاربة داء الوثنية. ثم عرج على تفسير جمل الآية الأربعة فبين معنى البلاغ وبين معنى النذارة ووضح قضية التوحيد، ووضح وجه كون القرآن تذكرة لأولي الألباب ....[1]

3- المقالات الصحفية

المقالة الصحفية بكل ما تتميز به وسيلة من وسائل الإصلاح القرآني، اتخذها علماء الجمعية وغيرهم مطية لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة المبنية على التفسير القرآني منذ فجر النهضة العلمية والأدبية في الجزائر، واعتمد على الصحافة في التفسير الدعوي لسببين اثنين:

أولا: تعتبر المقالة الصحفية –وقتئذ– أسرع وسيلة تصل بها الفكرة –مهما كان نوعها علمية أو فلسفية أو دينية– إلى أكبر قدر من الجمهور المثقف القادر على الفهم وفي هذا المعنى قال الشاعر أحمد شوقي: [2]

لِكُلِّ زَمانٍ مَضى آيَةٌ وَآيَةُ هَذا الزَمانِ الصُحُف
لِسانُ البِلادِ وَنَبضُ العِبادِ وَكَهفُ الحُقوقِ وَحَربُ الجَنَف
وَتَمشي تُعَلِّمُ في أُمَّةٍ كَثيرَةِ مَن لا يَخُطُّ الأَلِف

يقول محمد الصالح صديق مبينا سبب اعتماد وسيلة الصحافة لنشر الوعي القرآني بكل ما يحمله من معان وأساليب: «وقد يلاحظ القارئ الكريم وهو يتبع هذه الفصول أن بعضها

(1) ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، "الآثار"، (391/1 وما بعدها)
(2) "ديوان الشوقيات"، دار العودة، بيروت، 1988م، دط، (159/1)

أو جلها لا يشـــفي غليل ظامئ، ولا يشـــبع نهمة جائع، ولا يكفي الطالب المســـتزيد، وأنا ألاحظ له بدوري أن الناس قد أصـــبحوا لا يقبلون على الكتب الكبيرة اقبالهم على الكتب الصغيرة فطابع السرعة قد طغى على كل شيء في هذا العصر. وما دام الأمر كذلك فالمهم أن تكون الكلمة صـادرة على ايمان صـادق، وشـعور متفق ،وفؤاد محترق، ورغبة ملحاحة في النفع والإفادة.» [1] وممن كان يكتب في التفسير معتمدا على أسلوب المقالة الصحفية رئيس جمعية العلماء المســـمين الجزائريين عبد الحميد ابن باديس، وأبدع في ذلك أيما ابداع من جهة ذوقه في اختيار ما تمس الحاجة إليه ومن جهة حســـن بيانه ومن جهة تنزيله للآيات على الواقع بأسلوب فيه سلاسة ودقة وتأمل، ولم يحفظ لنا التاريخ من تفسيره ككل إلا ما نشر في الصـحافة، قال البشـير الإبراهيمي: «لم يكتب الأخ الصـديق أماليه في التفسـير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شـــيئا منها. وضـــاع على الأمة كنز علم لا يقوم بمال، ولا يعوض بحال. ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة "ابن باديس" في التفسير. ولكن الله تعالى أبى إلا أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسميها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي».[2] والنماذج من المقالات القرآنية التي كانت تسطر في صحف وجرائد الجمعية كثيرة جدا منها على سبيل التمثيل لا الحصر: (من السلوك القرآني: الهداية والغواية –أسبابها ونتائجها–) وهي مقالة على طريقة التفسير الموضوعي لكاتبها عمر بن البسكري، نشرت في العدد الثالث من السنة الأولى لجريدة البصائر، ويحاول أستاذ يوصف بأنه قرآني –وهو أبو العباس أحمد بن الهاشمي– لفت انتباه المسلمين إلى ما يجب عليهم اتجاه القرآن الكريم في مقالات منها : مقالة بعنوان: (وإنه لذكر لك ولقومك وســـوف تســـألون) نشرت في العدد التاسع من السنة الأولى، ومنها في العدد الذي يليه (نحن والقرآن) ... ومنها مقالة بعنوان: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي: الإسلام دين الثبات على المبدأ) على طريقة التفسير الموضوعي لكاتبها عمر بن البسكري نشرت في نفس العدد السابق، وفي نفس العدد

(1) محمد الصالح صديق، "من وحي السماء"، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة–الجزائر، 1400هـ–1980م، ط1، ص7.

(2) مقدمة: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مرجع سبق ذكره، ص21.

كذلك مقالة عالجت قضية ظاهرة ترك الصلاة على ضوء القرآن الكريم تحت عنوان: (الصلاة عماد الدين: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) لكاتبها: أبو حفص عبد الله، ومنها مقالة على طريقة التفسير الموضوعي كذلك في معالجة داء التفرق والتحزب تحت عنوان (الإسلام دين الاتحاد والأخوة) لعمر بن البسكري نشرت في السنة الأولى العدد الثاني عشر .... وهكذا قلما تجد عددا ليس فيه موضوع متصل بالقرآن الكريم وتفسيره وعلومه.

في البصائر مقالات في الانتصار للقرآن الكريم من مثل ما هو في أعداد 24 -26 من السنة الأولى للجريدة من ما كتبه أبو العباس أحمد بن الهاشمي في مقالين بعنوان: (المستشرقون والقرآن الكريم) بين فيهما جناية المستشرقين على القرآن الكريم من خلال الترجمات التي ينشرونها على أنها ترجمات للقرآن الكريم، وبين أن المسلمين وإن أحسنوا فيهم الظن من جهة سلامة مقاصدهم اتجاه القرآن الكريم وأن غرضهم من الترجمة هو تقريب علومه للناس من بني جلدتهم لا غير، إلا أنه لا يسلم لهم ما يقومون به من عبث بمعني القرآن الكريم وتحريف لمقاصده وبين أن ضعف المستشرقين اللغوي يبقى عورة في دراساتهم يستعصي عليهم سترها، والعربية هي المطية التي تستعصي على غير أهلها.[1]

المطلب الرابع: أهداف هذا المنهج

الخروج من ظلمات الخرافة والتخلف إلى نور الهدى القرآني والحياة الرشيدة مع التصدي لشبح الإلحاد الغربي (الفرنسي) هما الهدفان الرئيسيان الذين كان علماء الإسلام في الجزائر يسعون لتحقيقهما على جميع مستويات الأمة الثقافية، أما عن الهدف الأول فهو أشبه ما يكون بما حرره محمد رشيد رضا حين قال: «معرفتنا بالقرآن كمعرفتنا بالله تعالى: أول ما يلقن الوليد عندنا من معرفة الله تعالى، هو اسم " الله " تبارك وتعالى، يتعلمه بالأيمان الكاذبة كقوله: والله لقد فعلت كذا وكذا، والله ما فعلت كذا، وكذلك القرآن يسمع الصبي ممن يعيش معهم أنه كلام الله تعالى، ولا يعقل معنى ذلك، ثم لا يعرف من تعظيم القرآن إلا ما يعظمه به سائر المسلمين الذين يتربى بينهم»[2]. وبين الشيخ -بَعدُ- ما تعلقت به العامة

(1) ينظر: "البصائر"، طبعة وزارة الثقافة (طبعة مصورة عن الأصل)، الجزائر، دت، دط، المجلد رقم 3 ضمن مجلدات جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(2) محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م ، دط، 23/1

تعظم به كتاب ربها فقال: « اعتقاد أن آية كذا إذا كتبت ومحيت بماء وشربه صاحب مرض كذا يشفى، وأن من حمل القرآن، لا يقربه جن ولا شيطان، ويبارك له في كذا وكذا، إلى غير ذلك مما هو مشهور ومعروف للعامة أكثر مما هو معروف للخاصة، ومع صرف النظر عن صحة هذا وعدم صحته نقول: إن فيه مبالغة في التعظيم عظيمة جدا ولكنها – ويا للأسف – لا تزيد عن تعظيم التراب الذي يؤخذ من بعض الأضرحة ابتغاء هذه المنافع والفوائد نفسها. أقول: ونحو هذا ما يعلق على الأطفال من التعاويذ والتناجيس كالخرق والعظام والتمائم المشتملة على الطلسمات والكلمات الأعجمية، المنقولة عن بعض الأمم الوثنية، هذا الضرب من تعظيم القرآن نسميه – إذا جرينا على سنة القرآن – عبادة للقرآن لا عبادة لله به.»[1] وأما المعضلة الكبرى التي كانت تواجه المصلحين ألا وهي داء الوثنية والقبورية، وقد أعيت المصلحين فلا يستطيعون اقتلاعها من قلوب قتل الجمود الفكري فيها كل آلة للتعقل والفهم، وأعيتهم كذلك لأن أهلها يرون النظر في آيات القرآن وتدبرها كفرا وزندقة !! وهذه الثقافة المبنية على الدروشة والخرافة ما هي في حقيقتها ماهي إلا نتيجة للبعد عن هدي القرآن الكريم، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: «ومن آفات البعد عن هداية القرآن وعلوم القرآن وتربية القرآن أن الوثنية التي أودت بالأمم قبلنا، وكانت علة العلل في ضلالها وشقائها، ولقي منها رسل الله الْأَلاقي حتى قال نوح في الوثنيين من قومه، بعد أن ذكر أسماء أوثانهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة نوح:23]. وقال إبراهيم في أوثان قومه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ﴾ [سورة إبراهيم:36]، هذا المرض الفتاك الذي استعصى على أولي العزم من رسل الله علاجُه، هو الذي غفل عنه المسلمون، وهون شأنَه علماؤهم الجامدون حتى استشرى وأَعضل»[2] . وأما عن الهدف الثاني –المتمثل في مقاومة الإلحاد– فإن العلماء قد عاصروا تحديات الاستعمار والمستشرقين والعلمانيين المسلمين الذين أخذوا يقولون إن القرآن لم يعد صالحا للعصر الحاضر أو أنه هو سبب تخلف المسلمين ...[3] يقول صاحب تاريخ الجزائر

(1) المرجع نفسه، 23/1

(2) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (1/ 396).

(3) ينظر: أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، مرجع سبق ذكره، (18/7-19).

الثقافي: «أما ابن باديس فكان يبحث [في تفسيره] عن حلول إسلامية للمجتمع الإسلامي أمام الغزو الغربي، وتشمل هذه الحلول الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، **لذلك فإن تفسير ابن باديس يدخل في نطاق مسألة الأفكار وصراعها مع الحياة المعاصرة في الجزائر**»[1] ولا شك أن هذا السبيل مستويات ودرجات أدناها هو حماية بيضة الإسلام من أن تمس بسوء ويحال بين الناس وبين الهدى القويم بما يثار من شبهات هنا وهناك، وأعلى تلك الدرجات هو تخريج جيل مثقف متشبع بروح القرآن وملم بالثقافة المعاصرة فيكون بذلك ليس قادرا على حماية نفسه ووطنه فقط بل قادر على نشر الدين الإسلامي في شتى أقطار الدنيا؛ وفي هذا الصدد يقول البشير الإبراهيمي: «إن جمعية العلماء على ما خدمت به القرآن من تبيين حقائقه للناس، ونشر فضائله بينهم، وتحبيبه إلى نفوسهم، وشرح مزاياه فيهم، وجعله أساسا في التذكير والوعظ- على كل ذلك تتمنى لو تتفسح أمامها السبل، ويخف عنها ما تلاقيه في طريقها من معاكسة الطرقيين وأذنابهم، وإعنات الحكومة وعمالها- لتقوم كل القيام بما يجب عليها للقرآن من حق، فتنشئ من أبناء الأمة **جيلا قرآنيا يتقن حفظ القرآن وأداءه، ويحسن فهمه والعمل به ويتخلق بأخلاقه ويتربى على هديه، ثم ينشر بواسطته دين الله في أرض الله**»[2]، وبين أدنى أهداف المنهج الدعوي –حماية دين المجتمع- وبين أعلى درجات المنهج الدعوي –نشر الدين بتفهيم مقاصد كتابه الكريم- أهداف أخرى هي رتب في سبيل الترقي بالأمة بهذا القرآن الكريم، من تلك الرتب ما يلي:

- تحسين الأخلاق بما يعطي للمسلم تلك الصورة الجمالية التي تليق بشخصيته ويبعد عنه كل انطباع يضاد ذلك ويعاكسه.
- الحفاظ على جماعة المسلمين ووحدتها بالاعتصام بكتاب الله وتشرب علومه من مختلف أفراد المجتمع.
- اغتنام الوحدة الثقافية في سبيل تحصيل العزة والقوة بما يتيح للأمة نشر دين الله في الأرض...

(1) المرجع نفسه، (20/7-21).

(2)"آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (1/ 192).

قال الشيخ البشير الإبراهيمي مبرزا جوانب من تلك الأهداف والرؤى: «أي شباب الإسلام: حملة الأمانة ومستودع الآمال وبناة المستقبل وطلائع العهد الجديد؛ خذوها فصيحة صريحة لا تتستر بجلباب، ولا تتوارى بحجاب، إن علتكم التي أعيت الأطباء واستعصت على حكمة الحكماء هي من ضعف أخلاقكم ووهن عزائمكم، **فداووا الأخلاق بالقرآن تصلح وتستقم، وأسوا العزائم بالقرآن تقو وتشتد**، وإن الذي قعد بأمتكم عن الصالحات وأعدها لها في أخريات القافلة هو اختلاف قلوبها وتشتت أهوائها. **فأجمعوا على القرآن آخرها كما جمع محمد – ﷺ – أولها**، ينتج لكم هذا الآخر ما أنتجه ذلك الأول من عزائم شداد، وألسنة حداد، وهمم كبيرة، وعقول نيرة، وإن أول أمتكم شبيه بآخرها عزوفا عن الفضائل، وانغماسا في الرذائل **فلم يزل بها هذا القرآن حتى أخرج من رعاة النعم، رعاة الأمم، وأخرج من خمول الأمية أعلام العلم والحكمة. فإن زعم زاعم أن الزمان غير الزمان، فقولوا: ولكن الإنسان هو الإنسان**، وإن هذا القرآن وسع الحياة الأبدية فبينها حتى فهمها الناس واعتقدوها وسعوا لها سعيها فكيف لا يسع حياتكم هذه ... ؟ أي شباب الإسلام: إن الأوطان تجمع الأبدان، وان اللغات تجمع الألسنة، وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها ويصل بين نكرات القلوب فيعرفها هو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ولكن التمسوها في الدين والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع، والدار أجمع، والعديد كثير، والقوى أوفر»[1].

المطلب الخامس: ركائز المنهج الإصلاحي

في سبيل تحقيق الأهداف والغايات السابقة كانت خطة العلماء مرتكزة على ابعاد كل ما يحول بين جمهور الأمة وبين الاهتداء بالقرآن الكريم في شتى مجالات الحياة؛ والذي يشغل عن تلك الهداية أحد صنفين من الناس، صنف وضع القيد على اليد ومنع من النظر والتفكر في آي القرآن بأي شكل كان، وصنف أطنب في إدخال علوم ليست من القرآن في شيء في الدرس التفسيري، وتوضيح ذلك فيما يلي:

1. الإصلاح بالقرآن (اصلاح تعامل الناس مع القرآن)

(1) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (1/ 163)

الغرض من التفسير هو توصيل وتفهيم مراد الله من كتابه على حسب الطاقة البشرية أو هو بيان مقاصد القرآن الكريم على وجه التفصيل أو الإجمال، قال الشيخ البشير الإبراهيمي: «سئل بعض العلماء: أية آية تصلح أن تكون عنوانا على القرآن كله بحيث إذا كتبت على ظهر المصحف كانت تعريفا كاملا به، شاملا لجميع المعاني الكلية التي يجدها المتصفح فيه كما تعرف الكتب الكبيرة بجمل قصيرة، فكان جواب هذا العالم: الآية التي تصلح لذلك هي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة إبراهيم:52].»[1]، وفي الآية تعريف بالقرآن الكريم وبيان لمقاصده على وجه الإجمال، وفيها لمن تدبرها علوم جمة ذكر منها الشيخ طرفا في تفسيره لها كما في الجزء الأول من آثاره، ولما كان الشيخ بصدد شد الانتباه إلى أمر آخر ذي بال وأهمله المسلمون؛ بين رأيه في أي آية تصلح أن تكون عنوانا للقرآن الكريم يحمل في خباياه مقاصد القرآن وواجبنا اتجاهه فقال: «أما أنا- ولا أعوذ بالله من كلمة أنا- فلو ألقي علي هذا السؤال لتمردت على قوانين الجدال وأجبت على المغافصة والارتجال، ولم أرع إلا الاعتبار المناسب ومقتضى الحال، وجررت السائل (عن وظائف) القرآن إلى (وظائف) أهل القرآن مع القرآن، وقلت للسائل ضع على ظهر المصحف بالقلم العريض قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:155]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:29]، واجعل جملتي ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ و ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بين أقواس عل هذه الأقواس المحنية تصيب من قارئه شاكلة انتباه فتزعجه إلى معرفة أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، وعل هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها ووظيفتها التي يجب أن تقوم بها نحوه، وهي التدبر لمعانيه واتباعه.

إن حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع، هي التي يعروها ما يعروها من الإهمال والضياع والتفريط والغفلة، فهي التي يجب التنبيه لها والتذكير بها دائما والدلالة على مواقعها

(1) المرجع نفسه، (1/ 320)

من آيات الكتاب العزيز، **وهي التي يجب على العالم القرآني أن يختار للتذكير بها أصـــرح الآيات في معناها وأظهر الجمل في الدلالة عليها وأقرب الألفاظ لأذهان الناس.** وإذا قارنا بين ﴿لينذروا﴾ وبين ﴿ليدبروا آياته﴾ وجدنا بينهما فرقا جليا لا يستهان به في مقام التذكير والإبلاغ في التأثير، فإن الإنذار- وإن كان معناه الإعلام بالشـيء مع التخويف من عواقبه- لا يستلزم التدبر الذي هو انفعال نفساني ذاتي يفضي إلى النظر في إدبار الشيء وغاياته على وجه من التكلف والتدرج يفيده بناء تفعل وأثر الإنذار تأثير خارجي، وأثر التدبر تأثر ذاتي، والإنذار لا يشعر النفس ما يشعرها التدبر من العهد المسؤول والأمانة الثقيلة».[1] بين الشيخ في الفقرة الواجب الذي يجب أن يتحمل كل مسـلم المسـؤولية اتجاهه ألا وهو تدبر القرآن الكريم مع اتباع التعاليم التي فيه، وواجب على المعلمين أن يحسـنوا تعليم الناس هذا الواجب الذي عليهم وأن يختاروا أحسـن الطرق لذلك التعليم ولا أحسـن من تعليمهم على ضـوء الآيات القرآن نفسه تشرح لهم معانيها وتبن لهم هداياتها للوصول إلى الهدف الأسمى ألا وهو: «إصـلاح النفوس، وتثقيف العقول وتنظيم المجتمع، ونشـر أخلاق الإصـلاح الصـحيحة في المسلمين»[2]، قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله: «ولكن سواد المسلمين اليوم وقبل اليوم بقرون، ومن ورائهم علماؤهم، أصبحوا يعتقدون، وأعمالهم تشهد باعتقادهم، أن القرآن إنما أنزل لتتلى ألفاظُه تعبُّدًا وتبركًا أو هدية للآخرين، وتكتب حروفه اسـتشـفاء من الأمراض والعاهات الجسدية»[3]، ويلخص الشيخ عبد الحميد ابن باديس حال الأمة مع القرآن فيقول في تفسـير قول الله تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سـورة الفرقان:30]: «ونحن- معشـر المسـلمين- قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنا به مؤمنين:

(1) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (1/ 321)

(2) إبراهيم بيوض، نقلا عن: يحي بهون حاج امحمد، "الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير معاني القرآن الكريم"، (75-76).

(3) "الآثار"، 404/1.

1 – بســـط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصـــل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة، واشـــكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة.

2 – وبين القرآن أصـول الأحكام، وأمهات مسـائل الحلال والحرام، ووجوه النظر والاعتبار، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصـــالح الخاص والعام، فهجرنا، واقتصـــرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسـوار من الألفاظ المختصـرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها.

3 – وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومســـاوئ الأخلاق ومضـــارها، وبين الســـبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك، مما يحصـــل به الفلاح بتزكية النفس والســـلامة من الخيبة بتدسيتها فهجرنا ذلك كله، ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطع، وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإســـلام، وألقى بين أهلها بذور الشـــقاق والخصـــام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها.

4 – وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة، لننظر ونستفيد ونعمل.

فهجرنا ذلك كله إلى خريدة العجائب، وبدائع الزهور، والحوت والصخرة، وقرن الثور!

5 – ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ولا يتم ذلك إلا بتفســـيره وتبيينه، فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه.

فترى الطالب يفني حصـــة كبيرة من عمره في العلوم الآلية، دون أن يكون طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلا، بل يصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك!

وفي جامع الزيتونة– عمره الله تعالى– إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويع في درس تفسير، فإنه –ويا للمصيبة– يقع في خصومات لفظية، بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه، في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها من قبل، فيقضي في خصومة من الخصومات أياما أو شهورا؛ فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ أو ما تجاوزه إلا قليلا دون أن يحصل على شيء من

حقيقة التفسير. وإنما قضى سنته في المماحكات بدعوى أنها تطبيقات للقواعد على الآيات. كأن التفسير إنما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية، لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية. فهذا هجر آخر للقرآن، مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن!

وعلمنا القرآن أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- هو المبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، وأن عليهم أن يأخذوا ما آتاهم، وينتهوا عما نهاهم عنه، فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن. فهجرناها كما هجرناه، وعاملناها بما عاملناه، حتى إنه ليقل في المتصدرين للتدريس – من كبار العلماء في أكبر المعاهد- من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها، مطالعة، فضلا عن غيرهم من أهل العلم، وفضلا عن غيرها من كتب السنة وكم وكم وكم بين القرآن!!! وكم وكم وكم قابلناه بالصد والهجران!!!».[1] وهذا الذي ذكره ابن باديس يقودنا إلى طرق موضوع إصلاح التفسير وتخليص درس التفسير مما لا يحسن فيه ونبينه في مايلي:

2. إصلاح تفسير القرآن

إن أول خطوة في إصلاح التفسير –من وجهة نظر رجال الإصلاح- لا تتم إلا بالفصل بين أنواع الدروس التفسيرية، وتحديد نوع الفئة المستهدفة في كل درس تفسيري وما يناسب تلك الفئة من أنواع الخطابات المختلفة؛ مراعاة لمستواهم الثقافي، وقدرتهم على تفهم الكلام البليغ. ولما كان الدرس التفسيري المسجدي موجها لعامة الناس كانت له خصوصيات تمنع من بسط الكلام في المسائل العلمية المتعلقة بالقرآن والاقبال على غرس عقائد الإسلام في القلوب وتهذيب السلوك وإصلاح العوائد ... يقول أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين: «وتفسيرنا إنما هو للاتعاظ والاعتبار ولا ندخل إلا بمقدار الضرورة الملحة في تقرير معنى كلمة لغوية أو ربما إشارة إلى إعراب أو إلى تصريف كلمة عندما تلح الحاجة، وإلا فأصل التفسير المراد هو هداية الناس»[2]، وفي إصلاح الدروس التفسيرية وتعميمها وإزالة العقبات التي تحول دون ديمومتها، منهج كفيل وسبيل قويم في النهوض بالمجتمع كله من السبات الذي هو فيه،

(1) "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مرجع سبق ذكره، ص174.

(2) إبراهيم بن عمر بيوض، "في رحاب القرآن"، ت: الناصر المرموري، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1417هـ-1996م، ط1، ص8.

وفيه عافية له من كل داء مستشر فيه، «وكما أتى القرآن لأول نزوله بالعجائب المعجزات في إصلاح البشر فإنه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان، إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي تفهمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم. أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي- فإنه لا يفيدهم شيئا، ولا يفيد بهم شيئا، بل يزيدهم بعدا عن هدايته، ويزيد أعداءهم استخفافا بهم، وإمعانا في التكالب عليهم، والتحكم في رقابهم وأوطانهم» [1]. وتتوالى العبارات وتتعاضد لتقرر في نفوس المصلحين وغيرهم ضرورة ركوب هذه السفينة في الإصلاح فـ «لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه: إلا بالرجوع إلى القرآن: إلى علمه وهديه. وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه. والتفقه فيه وفي السنة النبوية وشرحه وبيانه، والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين، وهذا أمر قريب على من قربه الله عليه، ميسر على من توكل على الله فيه».[2]

أولا: من هو المفسر الحق

يحسن بالباحث أولا أن ينبه إلى أن السلف انقسموا فريقين اتجاه التكلم في التفسير، **فالأول من الفريقين:** أعرض عن الكلام في كتاب الله تعالى مكتفيا بما نقل عن النبي-ﷺ-، قال ابن عطية:« وكان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم»[3] ويشهد لرأي هؤلاء ما قاله أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا

(1) محمد البشير الإبراهيمي، مقدمة "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ص16.

(2) "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مرجع سبق ذكره، ص175.

(3) نقلا عن: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 1384هـ- 1964م، ط2، (34/1).

قلت في القرآن ما لا أعلم»[1]، وعن سـعيد بن المسـيب أنه قال: «أنا لا أقول في القرآن شيئا»[2]

أما **الفريق الثاني**: فقد أكثر من التفسير لكتاب الله عز وجل، كما مر معنا سابقا في المفسرين من الصحابة و التابعين لهم. وفي هذا المقام يجب أن ينتبه إلى أمور منها:

- المفسرون من الصحابة والتابعون كثير وهم أكثر ممن نقل عنهم التحرج في التفسير.
- في طبقة الصحابة لا يوجد من توقف عن الكلام بالكلية فأبو بكر-رضي الله عنه- في الأثر السابق توقف عن الكلام في كتاب الله، وهو نفسه قال في الكلالة برأيه.
- بعض التابعين الذين نقل عنهم التحرج من القول في التفسير، يوجد لهم فيه أقوال.

فيستفاد من هذا أن التحرج من التفسير سببه إما عدم العلم بوجه تفسيرها أو زيادة في الورع عن التجاسر على كتاب الله جل جلاله.

يعتبر بعض المعاصرين أن اشتراط المفسر، لتبيين معان القرآن الكريم واستنباط الهدايات منه للاسترشاد ووضع الحلول، من البدع التي تطاول عليها الزمن وترسخت في قلوب المسلمين في الوقت الذي كان الواجب عليهم هو الاقبال على القرآن والتدبر فيه دون الالتفات إلى مثل هذه الأغلال والقيود المضروبة عليه [3] !!! حيث يطرح هذا الكتاب اشكالا مفاده: «إلى أي حد استطاع علم التفسير ان يعين القارئ على التعامل الجيد مع النص القرآني؟»[4] وعلى النقيض من ذلك مما كان سائدا في الوسط الثقافي الإسلامي أن الاقبال على تفهيم معاني كلام الله تبارك وتعالى هو إقبال على الهلكة و تهور و إقدام حيث كان يجب الإحجام[5]، ولحل هذا الاشكال يحسن أن يعلم أن تفسير القرآن الكريم على درجات[6]

---

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ؛(كتاب الجامع)؛ (باب ما يخاف من اللسان)2079، وأخرجه الطبري في جامع البيان، [جامع البيان، 78/1]

(2) أخرجه ابن جرير الطبري، رقم: 94.

(3) ينظر: مصطفى بوهنيدي، "التأثير المسيحي على القرآن الكريم".

(4) https://alqarii.com/reviews/81693-ltathyr-lmsyhy-fy-tfsyr-lkr-n، تاريخ الاطلاع": 2022/03/02م.

(5) ينظر: أبو القاسم سعد الله، "التاريخ الثقافي للجزائر".

(6) ينظر: محمد أبو زهرة، "المنهاج المستقيم في التعريف بمعاني القرآن العظي"، مركز الدوريات العربية، سوريا، 1436هـ-2015م، ط1، ص13 وما بعدها.

أولها تفهيم معانيه وتوضيح الغريب من الألفاظ والتراكيب وثانيها هو استنباط الأحكام من الآيات وثالثها هو بيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم وما عدا هذا فهو استطراد يقترب إلى كونه ضرب من ضروب الحشو في الكلام؛ فيجب علينا أن «ننظر ... في الأهداف التي يتجه إليها المفسر، فنقول: أنزل القرآن لمقصدين ساميين؛ أولهما: هداية البشر إلى سبل السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة. ثانيهما: دلالته على صدق الرسول ﷺ فيما ادعاه من الرسالة التي هي مطلع تلك الهداية العامة، فكان أعظم معجزة وأخلدها على وجه الأرض. فمن أراد تفسير القرآن، فليتجه إلى وجوه الهداية التي أرشد إليها؛ من نحو: العقائد، والعبادات، والأخلاق، والآداب، وأحكام المعاملات، ويتجه مع هذا إلى الوجوه التي كان بها معجزة خالدة. وقد تفاوتت آراء المفسرين في البحث عن وجوه هدايته، ووجوه إعجازه على قدر تفاوتهم في العلم والفهم. وتجاوز قوم حدود هذين الهدفين، وأطلقوا لأقلامهم العنان، فاستطردوا في التفسير مباحث لا يتوقف عليها فهم القرآن من حيث إنه هداية، أو مباحث لا يحتاج إليها في تقرير وجه من وجوه إعجازه، وإنما هي مسائل ترجع إلى علوم أخرى مستقلة بنفسها»[1].

والمفسر مصطلح لم يحظ عند المهتمين بعلوم القرآن بالتعريف والحد والبيان إلا في الوقت المعاصر؛ قال أحدهم «المفسر: من كان له مشاركة في علم التفسير، أو كتب فيه»[2] وقال آخر: «من له أهلية تامةٌ يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة البشرية، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُملاً كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عملياً بتعليم أو تأليف»[3]. ويلاحظ الفرق بين التعريفين أن الأول تعريف عملي يشمل داخل حده كل من كتب شيئا في التفسير، والتعريف الثاني لا يدخل في حده إلا من حصل شروطا راض نفسه عليها حتى كانت له ملكة في ذلك. وعند علماء جمعية

(1) محمد الخضر حسين، "رأي في تفسير القرآن/ موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين" جمع: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، 1431هـ-2010م، ط1، (2/ 1/ 28)

(2) مساعد الطيار، "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427هـ، ط3، ص208.

(3) المرجع نفسه، ص208.

العلماء المسلمين الجزائريين نجد لبعضهم رأيا في التعريف بالمفسر فيقول محمد البشير الإبراهيمي: «أما المفسرون الذين يصدق عليهم هذا الوصف: فهم الذين يشرحون بحق فقه القرآن، ويستثيرون أسراره وحكمه، معتمدين على القرآن نفسه، وعلى السنة، وعلى البيان العربي» [1]، ويبعد الشيخ من زمرة المفسرين أصناف من الناس اعتمدوا على أسلوب الحشو في سرد المسائل و الاستطراد فيها فقال: «تفسير القرآن، تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه. والتفهيم تابع للفهم؛ فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه، وإن كتب فيه المجلدات، وأملى فيه ألوف المجالس»[2].

ثانيا: تنقيح التفسير

يؤكد علماء الجمعية على وجوب تنقيح وتنقية الدرس التفسيري من كل ما يضيع الهدف الأول من الدرس ألا وهو بيان هداياته وتوضيح أسراره وتجلية وجوه الإعجاز فيه، يقول محمد البشير الإبراهيمي مبينا بعد الشقة بين ما ينتهجه بعض من يتزعم مجالس تدريس القرآن وبين السبيل الأوفق لتحقيق الغاية من إنزال القرآن ومن إقامة الدروس من أجل تفهيمه: «ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنهم يصدرون في شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة، فبينما يسدون على الناس باب الاهتداء به في الأخلاق التي تزكي النفس، والعقائد التي تقوي الإرادات، والعبادات التي تغذي الإيمان، والأحكام التي تحفظ الحقوق، وكل هذا داخل في عالم التكليف، وكله من عالم الشهادة، بينما يصدون عن الاهتداء في ذلك بالقرآن نراهم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه، وهي التي استأثر الله بعلمها، فيخوضون في الروح والملائكة والجن وما بعد الموت، ويتوسعون في الحديث عن الجنة والنار، حتى ليكادون يضعون لهما خرائط مجسمة، وسبيل المؤمن القرآني العاقل في هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت، وأن يكل علم حقيقتها إلى الله، ليتفرغ لعالم الشهادة الذي هو عالم التكليف».[3]، هذا جانب من جوانب تنقيح الدرس التفسيري وتخليصه من كل ما ليس منه ومن كل ما هو من

(1) مقدمة، "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ، مرجع سبق ذكره، ص19.

(2) المرجع نفسه، ص19.

(3) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (4/ 229)

قبيل الموضـوعات في التفسـير التي تشـغل عن إدراك الهدايات العليا للقرآن الكريم. كما أن هناك نوعا آخر من العلوم يرى علماء التفسير وجوب تنقية ما يكتب ويلقى في التفسير منه ألا وهو استطرادات الفلاسفة و المتكلمين في موضوعات ليست من صميم علم التفسير وصلتها بالقرآن ضعيفة، يقول البشير الإبراهيمي رحمه الله: «وإنك لتطالع تفسير الرازي مثلا فتتلمح من جملته ذكاء يشع، وقريحة تتقد وألمعية تكاد تنتزع منك بنات صدرك، فتظن أن سيكشف لك عن الجهات المتصلة بنفسك من القرآن، ويجلي لك سنن الله في الأنفس والآفاق. وإذا بالظن يخيب والفال يكذب، إذ ترى تلك القوى مصروفة إلى جهة غير التي تريد. وترى الرجل وقد غلب على ذكائه وجرفته العادة التي تملكته إلى الآراء والعقليات وإثارة الشبهات. وترى ذلك الذهن العاتي يتخبط في مضائق هي دون قدر القرآن ودون قيمة ذلك الذهن، حتى ليسف فيزعم لك- مثلا- أن أولي العلم في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾، هم أهل الاصول ...».[1]

(1) محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق (1/ 167)

المبحث الثاني: ظهور المنهج التنقيحي

المنهج الدعوي والمنهج التنقيحي يلتقيان في كونهما من المناهج المعتمدة في الاتجاه الإصلاحي المتعلق بمختلف جوانب التعامل مع القرآن الكريم، ولكنهما مع ذلك يختلفان في كثير من الأمور، يمكن إجمالها –على تقدير الباحث– في محورين:

المحور الأول: هو الفئة المستهدفة من الدرس التفسيري، فهي في الغالب جمهور المسلمين لذا كان اختيار الأسلوب الأمثل لهم هو التسهيل وعدم الخوض في دقائق العلوم المتعلقة بالآيات المفسرة، وإن كان فيه شيء من منهج التنقيح فهو غير ظاهر.

المحور الثاني: المنهج الدعوى لا يعتني إلا بجانب التفسير والتفهيم لكتاب الله عزوجل، أما المنهج التنقيحي فهو عام لكل علوم القرآن، ولا يزال أهل الاختصاص يسيرون في هذا المضمار.

المطلب الأول: التعريف بهذا المنهج

هذا المنهج يعتبر امتدادا للمنهج الأصيل في علوم القرآن، إلا أنه يزيد عليه بغلبة النزعة النقدية التي تعتبر حركة تصحيحية تتمثل في اخراج النظري إلى التطبيقي وظهور الكتابات المتخصصة في علم معين من أنواع علم التفسير دون التطرق الى الكتابة في علوم القرآن ككل، وكذلك ظهورها في قالب البحوث الأكاديمية.[1] يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «ولقد رأيت الناس حول كلا الأقدمين –يعني من المفسرين– أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الاقدمون، وآخر آخذ بمعوله فيما مضت عليه القرون. وفي كلتا الحالتين ضر كثير وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده وحاشا أن ننقضه ونبيده، علما أن غمص فضلهم كفران للنهعمة وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة.»[2]

(1) أفدته من بعض دروس الأستاذ: د/عادل مقراني.

(2) نقلا عن: محمد الفاضل بن عاشور، "التفسير ورجاله"، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، 1429هـ-2007م، ط1، ص207.

ووضع الشيخ الطاهر بن عاشور خطة عملية لوضع تفسير للقرآن الكريم منقح بعيد عن الحشو بالمسائل التي ليست منه والاستطراد في مواضيع ليس التفسير موضعا للاستطراد فيها، وذلك في كتابه الفذ: (أليس الصبح بقريب؟) فقال رحمه الله: « ... فإذا تقرر هذا لديك علمت أن الوصف الذي يجدر أن يؤسس عليه إصلاح علم التفسير **ويكون منحولا من التفاسير** وهو أن تفسر التراكيب القرآنية جريا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمين والالتزام مما يسمح به النظم البليغ ولو تعددت المحامل والاحتمالات ثم نقل ما يؤثر عن أئمة المفسرين من السلف والخلف مما ليس مجافيا للأصول ولا للعربية، وأن يتجنب المفسر الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن ... »[1] وفي كلام الشيخ البشير الإبراهيمي المبثوث في آثاره جملة من الفصول تعنى بمسألة تنقيح علم التفسير بما يحقق الغاية الأسمى من تدارس هذا العلم وبثه بين الناس، نذكر من تلك الفصول جملا:

أولا: رسم حدود التفسير وبيان من هو المفسر الحقيقي؛ قال رحمه الله: «تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه والتفهيم تابع للفهم، فمن أحسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس».[2]

ثانيا: بيان مدد علم التفسير، قال رحمه الله: «وفهم القرآن يتوقف- بعد القريحة الصافية والذهن النير- على التعمق في أسرار البيان العربي، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل، والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة، ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك

(1) محمد الطاهر بن عاشور، "أليس الصبح بقريب"، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، 1431هـ-2010م، ط3، 169.

(2) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (2/ 250)

السنن وعجائبها، وقد فهمه السلف حق الفهم ففسروه حق التفسير مستعينين على ذلك بما ذكرنا من القرائح والأذهان، وأسرار البيان، ومستعينين بإرشاده على فقه سنن الأكوان».[1]

ثالثا: بيان مالا يجب أن يكون في تفسير القرآن من بدع التعصب للمذاهب «والقرآن حجة على غيره، وليس غيره حجة عليه، فبئس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية، والآراء الفقهية، أو العقلية فيه، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته. ومن الخطل، بل من الخذلان المفضي بصاحبه إلى ما يستعاذ منه أن يجعل الرأي الاجتهادي غير المعصوم أصلا، ويجعل القرآن المعصوم فرعا، وأن يعقد التوازن بين كلام المخلوق وكلام الخالق، إن هذا لهو الضلال البعيد». [2]

رابعا: عدم الخوض في علوم ليست من صميم مقاصد القرآن واقحامها في تفسيره كما يفعل بعض من ينتسب للتصوف: «ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنهم يصدرون في شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة، فبينما يسدون على الناس باب الاهتداء به في الأخلاق التي تزكي النفس، والعقائد التي تقوي الإرادات، والعبادات التي تغذي الإيمان، والأحكام التي تحفظ الحقوق، وكل هذا داخل في عالم التكليف، وكله من عالم الشهادة، بينما يصدون عن الاهتداء في ذلك بالقرآن نراهم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه، وهي التي استأثر الله بعلمها، فيخوضون في الروح والملائكة والجن وما بعد الموت، ويتوسعون في الحديث عن الجنة والنار، حتى ليكادون يضعون لهما خرائط مجسمة، وسبيل المؤمن القرآني العاقل في هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت، وأن يكل علم حقيقتها إلى الله، ليتفرغ لعالم الشهادة الذي هو عالم التكليف».[3]

ويظهر المنهج التنقيحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالتوازي مع المنهج الدعوي في المسجد، وذلك في الطريقة الثانية؛ التي جسدتها الجمعية في سبيل الإصلاح بالقرآن وإصلاح التعامل معه، وهي التعليم المكتبي المنظم وهو أشبه ما يكون بالتعلم الأكاديمي المؤطر يقول في الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله: «ويدخل في باب التعليم المكتبي

---

(1) المرجع نفسه، (2/ 250)

(2) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (4/ 226)

(3) المرجع نفسه، (4/ 229)

قراءة القرآن، فالجمعية تعطيه جزءا من اهتمامها، وكيف لا تهتم بالقرآن وهو سلاحها الذي به تناضل، وسيفها الذي به تصول، وعدتها في الشدة، وعلى الدعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي، وفي الدعوة إليه لقيت الأذى، ورميت بالعظائم؟ إن جمعية العلماء على ما خدمت به القرآن من تبيين حقائقه للناس، ونشر فضائله بينهم، وتحبيبه إلى نفوسهم، وشرح مزاياه فيهم، وجعله أساسا في التذكير والوعظ- على كل ذلك تتمنى لو تتفسح أمامها السبل، ويخف عنها ما تلاقيه في طريقها من معاكسة الطرقيين وأذنابهم، وإعنات الحكومة وعمالها- لتقوم كل القيام بما يجب عليها للقرآن من حق، فتنشئ من أبناء الأمة جيلا قرآنيا يتقن حفظ القرآن وأداءه، ويحسن فهمه والعمل به ويتخلق بأخلاقه ويتربى على هديه، ثم ينشر بواسطته دين الله في أرض الله»[1] واضح من هذا الأسلوب في التعليم أنه تجاوز التربية إلى أبعد من ذلك وهو تكوين نخبة قادرة على فهم القرآن وقادرة على تفهيمه بل وعلى نشر دين الإسلام في ربوع الأرض كلها.

(1) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مرجع سبق ذكره، (1/ 192).

المطلب الثاني: من أعلام هذا المنهج

ظهرت مؤلفات عديدة في السـاحة العلمية الجزائرية تعالج مواضـيع مختلفة من القرآن وعلومه منها ما أفرده صاحبه بعلم واحد معين مثل منظومات الغريب القرآني ومنها ما كانت تعالج مواضيع مختلفة في هذا الفن، فيما يلي ذكر لبعض من شارك في هذا الميدان على سبيل التمثيل دون الحصر.

1. عبد الرحمن الثعالبي

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها، ولد ونشـأ بناحية وادي يسـر بالجنوب الشـرقي من مدينة الجزائر، وتعلم في بجاية وتونس ومصر. ودخل تركيا، ثم حج، وعاد الى تونس سنة 819هـ، ومنها الى الجزائر. وولي القضاء على غير رضى منه، ثم خلع نفسه. له أكثر من تسعين كتابا منها. "الجواهر الحسان في تفسـير القرآن " في أربعة أجزاء مذيلا بمعجم لغوي لشـرح غريبه، و"روضـة الأنوار ونزهة الأخيار " في الفقه، قال صاحب نيل الابتهاج: " وهو قدر (المدونة) فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة وهو خزانة كتب لمن حصـله ... توفي في 33 رمضـان المبارك سنة 875هـ ودفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر[1]. و«كان أشهر ما عرف به الثعالبي في انتاجه العلمي في التفسـير المعروف ب"الجواهر الحسـان في تفسـير القرآن " و قد ذاع بين الطلبة العلم أن هذا التفسـير مختصـر من تفسـير لا ين عطية وهو "المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز" وذلك لسببين هما:

1. أن الثعالبي قد أبدى في مقدمة تفسيره إعجابه بكتاب المحرر الوجيز في عبارات توهم بادئ الرأي أنه اقتصر في عمله على اختصار تفسير ابن عطية.
2. أن الثعالبي قد كرر في مقدمة تفسيره كلمة "مختصر" ففهم بعضهم أنه اختصار لتفسير ابن عطية.

(1) ينظر: عادل نويهض، «معجم أعلام الجزائر» (ص91)

والحقيقة أن هذه الكلمة لا تعود على تفسير ابن عطية وحده بل اختصره من مجموعة من التفاسير المشهورة وفي قدمتها تفسير ابن عطية، وهذا ليس عيبا أو نقصا بل يدل على الأمانة العلمية الدقيقة التي كان يمتاز بها هذا المفسر، حيث كان ينبه في كل موضع على نقله باللفظ تارة ،وما نقله بالمعنى تارة أخرى ،أو ما تقله من المصدر نفسه أو ما نقله بالواسطة.»[1]

وتظهر نزعة عبد الرحمن الثعالبي في التنقيح والتحرير من خلال ما يلي:[2]

أولا: ميله إلى الإيجاز والاختصار اعتقادا منه أن الكثير من المعارف التي دخلت كتب التفسير هي ليست منه وإنما تطلب في أبواب أخرى من العلم.

ثانيا: رده لما خالف الحقائق العلمية من المرويات أو ما خالف الحقائق التاريخية المتواترة.

ثالثا: اقتصاره في رواية السنن التي أوردها في تفسيره على كتب الصحيح والحسن، وهو ما نص عليه في مقدمة كتابه الجواهر الحسان حيث قال: « وما نقلته من الأحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات- فأكثره من «النووي» و «سلاح المؤمن» ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من «التذكرة» للقرطبي، و «العاقبة» لعبد الحق، وربما زدت زيادات كثيرة من «مصابيح البغوي» وغيره كما ستقف عليه- إن شاء الله تعالى- كل ذلك معزو لمحاله، وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد ﷺ، وقد قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب «التقصي»: وأولى الأمور بمن نصح نفسه، وألهم رشده- معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل إلى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء، وعليه الجزاء، في دار الخلود والبقاء، التي لها يسعى الألباء العقلاء، والعلماء الحكماء».[3]

---

(1) رمضان يخلف، "الثعالبي مفسرا/ أعمال الأسبوع الوطني الرابع للقرآن الكريم/ "، ملتقى سيدي عبد الرحمن الثعالبي، 03-05 شعبان 1424هـ/09 سبتمبر- 01 أكتوبر2003م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 1425هـ-2004م،دط، ص85.

(2) ينظر: رمضان يخلف، المرجع السابق ص86-97. بتصرف

(3) «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (1/ 119-120)

رابعا: في تفســـير آيات الأحكام كان الإمام الثعالبي يقارن بين الأقوال المختلفة لأهل العلم فيقبل منها ما يراه متجها إلى معنى الآية ويرد الباقي من الأقوال بعد بيان ضـــعفها وهو في أغلب ذلك متســامح مع المخالف منتصــر للحق ســواء كان في م>هبه المالكي أو غيره من المذاهب الأخرى.

خامســا: وقف عند آيات العقائد ومتشــابه القرآن فبين مذهب أهل الســنة ومعتقدهم ونقل إلى جانب آخر أراء الفرق الكلامية وناقشــها نقاشــا علميا هادئا بما يقنع المخالف ويرده إلى الحق المبين.

2. طاهر الجزائري

هو طاهر بن صـــالح بن أحمد بن موهوب، الســـمعوني الجزائري، ثم الدمشـــقي: عالم لغوي، أديب، باحث ،كما كان محسـنا لأكثر اللغات الشـرقية كالعبرية والسـريانية والحبشـية والزواوية والتركية والفارســـية، واســـع العلم بالمكتبة العربية ومخطوطاتها. أصـــله من وغليس بالجزائر. هاجر ابوه الى سورية سنة 1264هـــ فولد هو بدمشق، وبها نشأ وتتلمذ على كبار أشياخها، انتقل الى القاهرة حيث أقام بضع عشرة سنة (1325 - 1338هـــ) في اثناء الحكم التركي في الشـام. وعاد فانتخب عضـوا في "المجمع العلمي العربي" سـنة 1919 وسمي مديرا لدار الكتب الظاهرية. وتوفي بعد ثلاثة أشـــهر في 14 ربيع الثاني. من آثاره "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن" و "الجواهر الكلامية في العقائد الاســـلامية"، و "بديع التلخيص وتلخيص البديع"[1] وللمؤلف مخطوطات عديدة أخرى في التفسير ولكنها تفاسير آيات أوسور متفرقة[2]

---

(1) ينظر: عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر"، (ص101)

(2) وائل حجلاوي، ملتقى أهل التفسير،

-https://mtafsir.net/forum/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B3%D9%85
D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%
-D8%AA%D9%82%D9%89%
-D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%
-D9%84%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%
-D9%88%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%

ونستشف منهج التحرير والتنقيح عند المؤلف من خلال عنوان كتابه الطويل نوعا ما إذ جعل عنوان كتابه: (التبيان لبعض مباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان)، أي أن المؤلف لم يقصد استقصاء المباحث المتعلقة بالقرآن و إنما اعتمد على الانتقاء لبعض المباحث ليسهل استيعابها بالبحث و المدارسة من كل الجوانب، وأكد هذا المنهج بقوله على طريق الاتقان وليس مقصوده من هذا القيد في العنوان أن كتابه على منوال الكتاب المشهور للسيوطي (الاتقان في علوم القرآن) بل مقصوده هو أنه أتقن هذه المباحث في كل ما يحيط بها من مباحثة ومدارسة وحسن عرض –والله أعلم–[1]. وقال المؤلف في المقدمة: أنه تبع فيه العلماء الأعلام الذين أحكموا الأمر أي إحكام، وقال فيه أنه يحوي ما به جلاء الأفهام وجلاء الأوهام.[2] وهذا يبن في صراحة مقصده من تأليف هذا الكتاب وأنه قصد به الترتيب والتهذيب والتنقيح ليسهل على الدارس المتخصص وعلى المثقف المسلم وعلى غيرهم من عموم القراء تناول علوم القرآن وهذا المقصد نرى ذلك في مقدمة محقق الكتاب مما يوحي أن المؤلف قد وفق إلى المقصد الذي رامه أيما توفيق إذ يقول محقق للكتاب: «وهو كتاب نفيس يفيد المفسر والمحدث والفقيه والمقرئ والقارئ المجود والأديب ودارس الشعر وكل راغب في ثقافة قرآنية ممتازة ... »[3]. وقسم المؤلف الكتاب إلى فصول ومسائل وفروع وصلات ويتخلل ذلك كله تنبيهات قد تختم المباحث بفوائد ذات علاقة، وقد يغاير بناء بعض الفصول فيذكر الفصل ولا يقسمه إلى مسائل ولا مايتبعها من فروع وصلات وقد يذكر الفصول دون مسائل ويلحق بها صلات.

-D8%B1%D8%A2%D9%86/6242%82%D8%A7%D9%84%D9%

-D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%

-D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1%

D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A%

(1) ينظر: طاهر الجزائري، "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت–لبنان، 1412هـ، ط3، 31. هامش

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص31.

(3) ينظر: المرجع نفسه.

والكتاب في حقيقته كأنه تعريف عملي بالقرآن الكريم، يخالف الطريقة المعتادة للتعريف بالقرآن عند علماء الأصـــول بالخصـــوص حيث يعرفونه بأنه كلام الله المنزل على نبينا ....، تعرض فيه المؤلف إلى قصة نزوله وأين نزل ثم عرج على الصفة التي نزل بها على سبعة أحرف وتناول قصـة المصـحف وكيف جمع فيه القرآن الكريم، ثم تناول ما هو شـائع من أمر القرآت السبع وقصة اشتهارها وتواترها دون غيرها وترتيب القرآن الكريم سوره وآياته وفواصله وكأنه يقول للقارئ هاك تعريفا بالمصحف الشريف وما تضمنه من آيات وسور ثم قال له بعد هاك نبذة على طريقة تلقيه وتلاوته على ما تســـمعه وتراه من أمر القراءات .....كما يلاحظ في الكتاب أنه قليل الخوض في العلوم التي يطلق عليها أنها أصـول التفسـير، بل هو يكاد كتاب في العلوم التي تبين ماهية القرآن من حيث نزوله وحقيقة الوحي وحقيقة الأحرف الســـبعة ....الخ

3. محمد الطاهر التليلي

هو محمد الطاهر بن بلقاســـم بن الأخضـــر بن عمر بن أحمد قاســـم بن أحمد التليلي القماري الســـوفي الجزائري ولد في عام (1328هـ/1910م)، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه الأول على يد جده وفي مسـجد سـيدي إبراهيم في مسـقط رأسـه، انتقل إلى الزيتونة سنة 1346هـ/1927م، حصـل على شـهادة التطويع سنة 1934م، عمل فلاحا وتاجرا والتحق بالتدريس والخطابة تحت مظلة جمعية العلماء المســـلمين الجزائريين في بجاية ســـنة 1935م ، ثم درس في المدارس الحرة في قمار 1938م، وافتتح مدرسـة النجاح بقمار سـنة 1948م واســتمر في التعليم فيها إلى غاية 1963م، تقاعد ســنة 1972م، توفي في 16 رمضـان1424هـ الموافق لـــــ: 11 نوفمبر 2003م. ترك الشـيخ التليلي ثروة متنوعة من المصـــنفات في علوم القرآن والفقه واللغة والتاريخ والأدب طبع بعضـــها ولا يزال الكثير منها مخطوطا. منها: فذلكة تاريخية عن منطقة ســـوف بالجزائر، رســـائل في رســـم القرآن كما في المصحف، ديوان الدموع السوداء، نظم متن الورقات للإمام الجويني، المسائل الفقهية، رسالة الأذكار الشرعية، ... [1]

(1) ينظر: محمد السعيد مصيطفى، "جهود الشيخ الطاهر التليلي السوفي في النظم القرآني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 12 العدد: 1 (2019)، ص81 وما بعدها.

منهجه التنقيحي في مؤلفاته

للشـــيخ محمد الطاهر التليلي عدة مؤلفات في علوم القرآن هي في الجملة عبارة عن منظومات كل منظومة في فن من فنون علوم القرآن، منها ما جمع في كتاب تحت مســـمى: (منظومات في مسـائل قرآنية) تقديم د/أبو القاسـم سـعد الله طبع المؤسـسـة الوطنية للكتاب الجزائر سنة 1986م، وتضمن الكتاب ثلاث منظومات:

1- **المدخل في الغريب القرآني**: تتبع فيه المفردات في غريب القرآن، التي وردت مرة واحدة في القرآن العظيم، متبعا في ذلك ترتيب الحروف ، وقد جمعت المنظومة (445 بيتا) من بحر الرجز، اعتمد الشـــيخ في كتابتها على كتاب قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم. ونظرا للقيمة العلمية الرفيعة للكتاب: فقد قام العلامة محمد باي بلعالم بشرحه في كتاب سماه: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن).

2- حجز المخلاة في مجالس المحاجاة

3- تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد

ومنها قواعد وكليات في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم حققه د/أبو القاســـم ســـعد الله وطبع سنة 2014م.

والذي يظهر للباحث -والله أعلم- أن مدار موضـوعات الكتب وموادها هو مما تكثر الحاجة إليه بين طلبة العلم عامة والحفاظ لكتاب الله خاصـــة، فكان الشـــيخ يســـتغل تلك المذاكرات و المسـاجلات التي بين الحفاظ لكتاب الله فيختار منها موضـوعات لكتبه تسـهل على طلبة العلم حفظ كتاب الله مع حســن ضـبطه رسما وحفظا وحســن تفهمه، حيث قال عن سـبب تأليفه لنظمه في الغريب القرآني: « ...هو أننا شـرعنا منذ سـنة كاملة بمعية جماعة من القراء والطلبة الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب في مذاكرة الآيات الخاصـة والكلمات الشاذة والحروف النادرة وإلقاء كل واحد منا ما عنده من ذلك بين يدي الجماعة على المعاياة أو المحاجات قصـد الإفادة أو الاسـتفادة من تلك المطارحات القرآنية»[1]. وقال عن سـبب تأليفه لمنظومته الرسـم القرآني: «فأقدم بين يدي القارئ الكريم هذه المنظومة التي تتعلق ببعض

(1) محمد الطاهر التليلي، "منظومات في مسائل قرآنية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، دط، ص15.

علوم القرآن ومسائله، التي كثيرا ما تدور بين القراء في مجالسهم وتقع فيها المحاورة بين الطلبة والمذاكرة بين الحفظة، مثل عدد بعض الآيات وكيفية رسم بعص الكلمات وبيان بعض الشواذ من المتشابهات مما قد يشكل على الطالب المبتدي ويغفل عنه القارئ المنتهي»[1].

وأما عن أسلوبه وحسن صنعته فيقول العلامة محمد بلعالم باي عن نظمه في الغريب القرآني: «فوجئت لأول مرة بنظم رائع رائق ... في سفر يتضمن ثلاث منظومات نظمهن الأستاذ الشيخ محمد الطاهر التليلي السوفي الجزائري –جزاه الله خيرا– فقد أجاد وأفاد وبلغ في عمله المراد وعنوان التأليف مسائل قرآنية ... »[2] كما أن شرح الشيخ محمد بلعالم باي تميز بالتنقيح والتدقيق في بيان معني مفردات الغريب، قال مبينا نزعته التنقيحية: «وقبل الشروع في المقصود أحضرت طائفة من تفاسير القرآن لعلماء أجلاء قد تصدروا لتفسير عويصاته وغرائبه وغاصوا في بحوره وخاضوا في أنهاره فاستخرجوا دره وفرائده ووضحوا معانيه وفوائده وفصلوا مجمله وبينوا معضله على حسب اجتهادهم وادراكهم أما كتاب الله فقد قال منزله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [سورة الكهف:109]. كما أني راجعت طائفة من كتب الحديث وإعراب القرآن واللغة بحيث **لم أكتب جملة ولا كلمة في هذا التعليق إلا وهي مستقاة من مصادر صحيحة ومراجع واضحة** ... »[3]

4. مالك بن نبي

مالك بن نبي؛ كاتب ومفكر اسلامي، له طابع العالم الاجتماعي. ولد بقسنطينة، ودرس القضاء في المعهد الاسلامي المختلط، وتخرج– في الثلاثينيات– مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس، وزار مكة وبعض الاقطار الاسلامية، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية وترجم بعضها الى العربية. تولى إدارة التعليم العالي (سنة 1964) بوزارة الثقافة والارشاد القومي. وكان عضوا في مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة. من آثاره "الظاهرة القرآنية " و"مشكلاة الثقافة " و"شروط النهضة "

(1) محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص15.

(2) محمد بلعالم باي، "المفتاح الرباني على المدخل النوراني للمفرد الغريب القرآني"، دط، دت، ص3.

(3) المرجع نفسه، ص4.

و"وجهة العالم الاسلامي" و"مذكرات شاهد القرن- الطالب- " و"مذكرات شاهد القرن- الطفل- " و"ميلاد مجتمع " و"دور المسلم ورسالته " و"بين الرشاد والتيه".[1] اشتهر في مجال الدراسات الفكرية ، وله في ميدان الدراسات القرآنية جهود تمثلت في باكورة أعماله ألا وهو كتاب (الظاهرة القرآنية)، وهو كتاب تجاوز فيه مالك بن نبي منهج التنقيح وحسن الترتيب إلى الإبداع والابتكار في مسائل من الدراسات القرآنية هي من الأهمية بمكان، فكتابه يعتبر فتحا جديدا في مجال الإعجاز القرآني وفي مجل الانتصار للقرآن الكريم. يقول عبد الله دراز: «إن المسألة هي في البحث عن المصدر الحقيقي للقرآن. وأن نعرف ما إذا كان يمكن أن يكون هذا الكتاب قد استخرج من علم أو إدراك من أرسل به». [2] ثم يقول مبينا الجانب الإبداعي في طريقة تناول مالك بن نبي للموضوع: «وإذا اتفق لمؤمن متعلم أن ملك موهبة الكتابة فوق هاتين الصفتين من الإيمان والعلم، فإن واجبا آخر يقع على عاتقه: إنه إخراج ثمار علمه بلغة عصره، كما يفعل نبي يخاطب قومه بلغتهم، إنني أستطيع أن أؤكد بأنك قمت بكلا الواجبين، فقد تأملت بنضج، ذلك الاتصال بالعقل والتراث، بالعلم والعقيدة ة وأفرغت في عرض جميل واضح ومتماسك شرارة ما تفجر من ذلك اللقاء، فسداد حكمك، وحرارة عقيدتك، وحداثة مصطلحاتك، وجمال أسلوبك؛ هذه كلها ميزات بارزة لا أستطيع أن أفيك ما تستحق من تهنئة عليها».[3] ويقول محمود شاكر مبرزا الخطوط العريضة التي سلكها مالك بن نبي في تحريره لعناصر الكتاب: «وهذا المنهج الذي سلكه مالك، منهج يستمد أصوله من تأمل طويل في طبيعة النفس الإنسانية، وفي غريزة التدين في فطرة البشر، وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض أحيانا، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل إنسان. ثم هو يستمد أصوله من الفحص الدائب في تاريخ النبوة وخصائصها، ثم في سيرة رسول الله، بأبي هو وأمي، منذ نشأته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. ثم في هذا البلاغ الذي جاء ليكون بنفسه، دليلا على صدق نفسه، أنه كلام الله، الفارق لكلام البشر من جميع نواحيه»[4].

(1) ينظر: عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر"، مرجع سبق ذكره، ص282.

(2) مقدمة عبد الله دراز لـ: "الظاهرة القرآنية"، دار الفكر – دمشق سورية، 1420هـ-2000م، ط4 ص9.

(3) المرجع نفسه، ص11.

(4) مقدمة محمود شاكر لـ: "الظاهرة القرآنية"، ص18.

الخاتمة:

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه وتنسيقه في هذا البحث، وفي الأخير أنوه بجملة من النتائج التي استخلصتها والتوصيات التي أقترحها في نفس الباب.

النتائج:

- المقصود الأول من الاتجاه الإصلاحي في تفسير القرآن هو إصلاح تعامل الناس مع القرآن الكريم وكذلك اصلاح طرق بيان معاني القرآن الكريم والاهتداء به وبيان أسراره وإعجازه.

- اتسمت خطة جمعية العلماء الجزائريين في الإصلاح القرآني بالشمولية حيث استثمرت كل الوسائل المتاحة من أجل تعميم الهداية القرآنية في أوساط الجموع، واعتمدت أسلوب التعبئة القصوى فلم تترك فرصة تفوتها فكانت نهضة بحق.

- المناهج المعتمدة في الاتجاه الإصلاحي تختلف باختلاف الفئة المستهدفة من قبل العلماء والدعاة، ففي مخاطبة العامة ومن هم على نفس الخط الثقافي يستخدم المنهج الدعوي الذي يركز على الجانب الوعظي وعلى الجانب العملي وفي مخاطبة الخواص من المثقفين يستخدم المنهج التنقيحي النقدي من أجل الوصول إلى إحياء علوم القرآن وإظهارها في رونقها اللائق بها وانتصارا للقرآن من حملات الشانئين والمغرضين.

- المنهج التنقيحي يخدم الاتجاه الإصلاحي في كونه يبعد عن التفسير وعلومه كل أنواع الدخيل عليهما.

- في المنهج التنقيحي أبدع كثير من مساهمين في مجال التأليف في علوم القرآن طرق جديدة في الانتصار للقرآن الكريم وعلومه من مثل صنيع مالك بن نبي في الظاهرة القرآنية.

التوصيات:

- في تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الصحف والمحاضرات كثير من المواد العلمية على صلة وثيقة بالتفسير وعلوم القرآن حقيقة بأن تجمع وترتب في كتاب واحد بغية تسهيل الوصول إليها والاستفادة منها. وهذا ما يعزم الباحث على القيام به والله المستعان.

- كتب العلماء التي اعتنت بتنقيح علوم القرآن لم تحض بالنصيب الأنسب من العناية و الخدمة والتقريب لجمهور طلبة العلم.

المصادر والمراجع

- ✓ "البصائر"، طبعة وزارة الثقافة (طبعة مصورة عن الأصل)، الجزائر، دت، دط، المجلد رقم 3 ضمن مجلدات جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- ✓ https://alqarii.com/reviews/81693-ltathyr-lmsyhy-fy-tfsyr-lkr-n
- ✓ إبراهيم بن عمر بيوض، "في رحاب القرآن"، ت: الناصر المرموري، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1417هـ-1996م، ط1.
- ✓ ابن باديس، " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 1416هـ - 1995م، ط1.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، - 2007 م، طبعة خاصة.
- ✓ أحمد شوقي، "ديوان الشوقيات"، دار العودة، بيروت، 1988م، دط.
- ✓ رمضان يخلف، "الثعالبي مفسرا/ أعمال الأسبوع الوطني الرابع للقرآن الكريم/ "، ملتقى سيدي عبد الرحمن الثعالبي، 03-05 شعبان 1424هـ/09 سبتمبر- 01 أكتوبر2003م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 1425هـ-2004م،دط.
- ✓ صالح آل الشيخ، "محاضرة مناهج المفسرين/ سلسلة المحاضرات العلمية"، ت: عادل رفاعي، مكتبة دار الحجاز، مصر، 1434هـ-2013م، ط1.
- ✓ طاهر الجزائري، "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، 1412هـ، ط3.
- ✓ عادل نويهض، "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1409 هـ - 1988 م، ط3.
- ✓ عادل نويهض، «معجم أعلام الجزائر»
- ✓ القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 1384هـ-1964م، ط2.
- ✓ مالك بن نبي، "الظاهرة القرآنية"، دار الفكر - دمشق سورية، 1420هـ-2000م، ط4.

- ✓ محمد أبو زهرة، "المنهاج المستقيم في التعريف بمعاني القرآن العظي"، مركز الدوريات العربية، سوريا، 1436هـ-2015م، ط1.
- ✓ محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1997م، ط1.
- ✓ محمد الخضر حسين، "موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين" جمع: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، 1431هـ-2010م، ط1.
- ✓ محمد السعيد مصيطفى، "جهود الشيخ الطاهر التليلي السوفي في النظم القرآني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 12 العدد: 1 (2019).
- ✓ محمد الصالح صديق، "من وحي السماء"، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، 1400هـ-1980م، ط1.
- ✓ محمد الطاهر التليلي، "منظومات في مسائل قرآنية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، دط.
- ✓ محمد الطاهر بن عاشور، "أليس الصبح بقريب"، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، 1431هـ-2010م، ط3.
- ✓ محمد الفاضل بن عاشور، "التفسير ورجاله"، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، 1429هـ-2007م، ط1.
- ✓ محمد بلعالم باي، "المفتاح الرباني على المدخل النوراني للمفرد الغريب القرآني"، دط، دت.
- ✓ محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م، دط.
- ✓ مساعد الطيار، "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427هـ، ط3.
- ✓ مصطفى بوهنيدي، "التأثير المسيحي على القرآن الكريم".
- ✓ يحي بن بهون حاج امحمد، "الحركة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وجهودها في تفسير القرآن الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض نموذجا".